"بِاسْمِ الآبِ والابنِ والروحِ القُدُس"

مَعْمودِيَّةُ الإيمانِ المسيحي

في كَلِمَةِ الله

بقلم القس ڤيكتور عطاالله

.

اسم الكتاب: معمودية الإيمان المسيحي في كلمة الله
اسم المؤلف: القس ڤيكتور عطاالله
الناشر: القس ڤيكتور عطاالله
المطبعة: شركة الطباعة المصرية ت: ٤٦١٠٢٠٩٥ / ٤٦١٠٠٥٨٩
رقم الإيداع:

"القِيمَةُ والبَرَكَةُ الرُّوحِيَّةُ في المَعْمودِيَّةِ المَسِيحِيَّةِ، تَكْمُنانِ في اسْمِ الثَّالوثِ الأَقْدَسِ المُبَارَكِ الذي به تَتِمُّ، ولَيْسَ في المَاءِ مَهْما تَكُنْ كَمِّيَّتُهُ، ولا في تَوْقِيتِها أَوْ هُوِيَّةِ مَنْ يُشْرِفُ عَلَى تَنْفِيذِها. المَعْمُودِيَّةُ المَسِيحِيَّةُ هي شِهَادَةُ الرَّبِّ لنِعمَتِهِ الخَلاصِيَّةِ التي أَقَرَّها بِدَمِ العَهْدِ الأَبَدِيّ، الَّذي انْسَكَبَ في كَفَّارَةِ المَسيحِ عَنْ خَطايا شَعْبِهِ. البَرَكَةُ، كُلُّ البَرَكَةِ هِيَ في رِسالةِ الإنجيلِ الخَلاصِيَّةِ الَّتي يَنْطِقُ بِها وَيُعْلِنُها خُدَّامُ كَلِمَةِ اللهِ عِنْدَ قِيادَةِ المؤْمِنِينَ في طَاعَةِ الرَّبِّ يَسوعَ، بِمُمارَسَةِ المَعْمودِيَّةِ".

القس فيكتور عطاالله

"بِاسْمِ الآبِ والابنِ والروحِ القُدُس"

مَعْمودِيَّةُ الإِيمانِ المسيحي في كَلِمَةِ الله

بقلم القس ڤيكتور عطاالله

مُقَدِمة

يتَّفقُ جميعُ المسيحيّينَ علَى أنَّ الكِتابَ المقدَّسَ هو كَلمةُ اللهِ التي توجّهُ كُلَّ مُعتقداتِهم ومُمارساتِهم وتصرُّفاتِهم. لكنَّ البعضَ يُفَسِّرون الكَلِمَةَ الإلهيةَ عَلَى أُسسٍ خَاطِئَةٍ ومفاهيمَ مدفوعةٍ بافتِراضاتٍ وقَناعاتٍ شخصيةٍ مُسبَقَة. هذا يَنْعكِسُ في ادِّعاءاتِ البَعضِ عَنْ مَعمودِيَّةِ الإيمانِ، مِمَّا أَدَّى للكثيرِ من التحَزُّبِ والانقساماتِ والمَرارةِ والتَّعَصُّبِ الشَرِسِ والسَّعيِ المُفْرِطِ وَراءَ رِبْحِ الأَتْباعِ والتَّفاخُرُ بذلك.

ذلكَ مِن شَأْنِه تَشْتِيتُ الخِرافِ وبَلْبَلةُ أَفكارِ المُؤمنينَ البُسطاء.

إنَّ الكنيسةَ الإنجيليةَ، في غَيْرَتِها عَلَى وَحدَةِ الإيمانِ، وكَرامَةِ كَلِمَةِ اللهِ وشَهادَةِ التاريخِ المَسيحِيّ الطَّويلِ، والتُّراثِ المَسيحِيّ العَريقِ والمُبارَكِ، تَوَجَّبَ عليها التَّذكيرُ بِبَعضِ الحَقائقِ الكِتابيَّةِ الأَساسِيَّةِ والواضِحةِ، المُختَصَّةِ بالمَعْموديَّةِ، في الإيمانِ المَسيحِيّ القَويمِ. ذلك لتَقْوِيَةِ المؤمنينَ البُسطاءِ، الذين تتعرَّضُ مَعْموديَّتُهم للكثيرِ مِنَ التَّشكِيكِ أَو حَتَّى الإلغاء.

هذه خُلاصَةُ دراساتٍ كِتابِيَّةٍ مُطَوَّلةٍ عَبْرَ السِّنينِ عن المَوْضوع، إرْتأَيْتُ أن أَصوغَها في إيجاز وافٍ وشامِلٍ لِكافَّةِ جوانِبِ المَوْضوعِ، لم يَبْتَعِد عن الإلتزامِ بِبَساطَةِ المُمارَسَةِ التي اتَّسَمَت بِها الكنيسةُ الأُولَى، بَعيدًا عن النَّظَرِيَّاتِ والافْتِراضَاتِ والحُجَجِ والتَّحَزُّبِ لِمَعاني الكَلِماتِ، إذْ لا فَائدَةَ مِنْ ذَلك كُلِّهِ لِفَهْمِ المَضْمونِ المُباشَر والواضِحِ، والمُمارَسَةِ البَديهِيَّةِ للمَعْموديَّةِ

في الكِتابِ المقدَّسِ بِعَهْدَيْه. هذه خُلاصَةٌ عَمَلِيَّةٌ تُؤَكِّدُ عَدَمَ الحَاجَةِ للخَوْضِ

في دِفاعِيَّاتٍ تَفْسِيرِيَّةٍ أَوْ أَكادِيمِيَّةٍ.

قَصْدي مِنَ المُشارَكَةِ هُنا لَيْسَ إِقناعَ الآخَرينَ، بل تَوْضيحَ حَقِيقَةِ الأَساسِ الكِتَابِيّ الرَّاسِخِ للمَوْقِفِ الإِنْجِيلِيّ. أُؤَكِّدُ تَقْدِيري واحْتِرامِي لِمَوْقِفِ المُؤمِنينَ الذينَ لا تستريحُ ضَمائِرُهمُ لِمَعْمودِيَّةِ أَوْلادِهِم، مع أَنِّي لا أَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلك المَوْقَفَ مُبَرَّرٌ كِتَابِيًّا. كذلك أُؤَكِّد رَفْضِي الشَّخْصِيّ لتَعمْيدِ مَنْ يَتَّضِحُ أَنَّ إِيمانَهُم مُجَرَّدُ إِيمانٍ إِسْمِيّ، وأَرْفُضُ القِيامَ بِتَعْمِيدِ أَطْفالِهِم. لكنّي في نَفْسِ الوَقْتِ أَرْفضُ أَيْضًا التَّشكِيكَ في أَيِّ مَعْمُودِيَّةٍ بِاسمِ الثَّالوثِ الأَقْدسِ، مارَسَها آخَرونَ، بِغَضِّ النَّظَرِ عَنِ الكَيْفِيَّةِ وكَمِّيَّةِ المَاءِ المُسْتَخْدَمَةِ أَوْ عُمْرِ المُعَمَّدِينَ أَوْ هُوِيّةِ أَوْ طائفَةِ مَنْ يَقُومونَ بِتَنْفِيذِ المَعْمُودِيَّةِ، فهو نَوْعٌ مِنْ عَدَمِ المَحَبَّةِ وإِنكارٍ لوَحْدَانِيَّةِ الربِّ وَوَحْدَانِيَّةِ الإِيمانِ وَوَحْدانِيَّةِ المَعْمَودِيَّةِ، كَما هو وَاضِحٌ في

الفَصْلِ الرَّابِعِ مِنْ رِسالَةِ أَفَسُسَ، خاصةً وأَنَّنا جَمِيعًا نَتَّفِقُ عَلَى أَنَّ مَعْمُودِيَّةَ الماءِ لا تُخَلِّصُ ولا تَقُودُ لِلخَلاص. قِيمَةُ المَعْمُودِيَّةِ هِيَ في اسْمِ الثَّالوثِ الأَقْدَسِ الذي بِهِ تُمارَسُ.

هذا تَعْبِيرٌ عن جَهدٍ شَخْصِي يُنشَرُ ويُوزَّعُ كذلك، وليسَ ضِمْنَ مَنْشوراتِ أَيِّ هَيْئَةٍ، مَعْ قَنَاعَتِي أَنَّه يُعَبِّرُ عَنْ الفِكْرِ الكِتابِيِّ الإِنْجِيلِيّ الأَصيلِ. صَلاتِي هي أَنْ يكونَ لِبَرَكَةِ كُلِّ الكَنَائِسِ والمُؤْمِنِينَ النَّاطِقينَ بِلُغَةِ الضَّاضِ، خاصَّةً وأَنَّ مَوْقِفَ الكَنائِسِ الإِنجِيلِيَّةِ يَبْدو عَليهِ التَّخاذُلُ والخَجَلُ وأَحيانًا يَمِيلُ للدِّفاعِ عَنْ مُمَارَسَةٍ في العَهْدِ الجَديدِ لا تَحْتَاجُ لِدفاعٍ. الحَاجَةُ هِيَ لِفَهْمِ التَّعْلِيمِ الإِنجيلِيّ السَّلِيمِ المَبْنِيّ عَلَى أُصولٍ وأُسُسٍ كِتَابِيَّةٍ واضِحَةٍ وبَسِيطَةٍ، كما يَكْفِي التَّرْكِيزُ عَلَى فِكْرَةِ العَهْدِ المُهِمَّةِ في حَدِّ ذَاتِها، كما يَجِبُ عَدَمُ الخَوْضِ في دِفاعٍ لا داعِي لَهُ، عَنْ عَقِيَدةٍ ومُمَارَسَةٍ سَلِيمَةٍ. الآراءُ الأُخرى (سواءٌ عَنْ رَفْضِ مَعْمودِيَّةِ أَطْفالِ المُؤْمِنِينَ، أَو الإِصْرارِ عَلَى التَّغْطِيسِ أَوْ الادِّعاءِ بِقِيَمةٍ

خَلاصِيَّةٍ لِمَعْمودِيَّةِ الماءِ) هِيَ نَفْسُها في مَوْقِفِ الدِّفاعِ في وَجْهِ ما هو وَاضِحٌ في مَوْقِفِ ومُمَارَسَةِ الكَنِيسَةِ الأُولَى، وفي مُجْمَلِ مَضْمُونِ العَهْدِ الجَدِيدِ، كما وفي إشاراتِ العَهْدِ القَدِيمِ لِلْمَعْمُودِيَّةِ ولِمَا تَرمُزُ إليهِ في مَعْمُودِيَّةِ الرُّوحِ القُدُس.

ما هي المعمودِيَّةُ المَسِيحِيَّةُ؟

المَعْموديَّةُ هي فَريضَةٌ وَضَعَها الرَّبُّ يسوعُ المسيحُ، كالرَّمزِ والعَلامَةِ والخَتْمِ والشَّهادَةِ الإلَهِيَّةِ، وَوَاسِطَةِ نِعْمةٍ رُوحِيَّةٍ، لِبَرَكةِ جَماعَةِ المؤْمنينَ الجَدِيدةِ وتَمْيِيزِها، كَبَدِيلٍ لِفَريضَةِ الخِتانِ التي مَيَّزَ بِها الرَّبُّ مُؤْمِني العَهدِ القَديمِ (راجع كولوسي ٢:١١ – ١٣). في هذا النَّصِّ تُوصَفُ المَعْمودِيَّةُ بأَنَّها خِتانُ المَسيحِ غَيْرُ المَصْنوعِ بِيَدِ بَشَرٍ. كما أَنَّ الرُّوحَ القُدُسَ في رِسالةِ غَلاطِيَّة (٣:٢٦ – ٢٩) أَكَّدَ أَنَّهُ بِمَجِيءِ المَسيحِ وإتمامِهِ للوَعْدِ بنَسلٍ لإبْراهيمَ " تَتبارَكُ فيهِ جَميعُ قَبائِلِ الأَرضِ"، أَصْبَحَ المُؤمِنونَ مِنْ

كافَّـةِ الأَجْنـاسِ والأَعْـراقِ والطَّبقـاتِ شَـعْبَ اللهِ الجَديـدِ، توجّـدُهُم فَريضَـةٌ مُوَثَّقَـةٌ جَديـدةٌ، هِـي مَعْمودِيَّـةُ المَـاءِ التـي تَرمُـزُ لِعَطِيَّـةِ الحَياةِ الجَديدةِ المَوعودَةِ في المسيحِ، أَيْ مَعْمودِيَّةِ الرُّوحِ القُدُسِ (متـى ٣:١١ وتكـوين ١:١٢ – ٣ و ١٨:٢٢ وإرميـا ٣١:٣١ – ٣٤ وحزقيـال ٣٦:٢٢ – ٢٧). كمـا أَنَّ الرُّوحَ القُدسَ فـي رِسالَةِ غَلاطِيَّةِ (٦:١١ – ١٨) أَكَّد أَيضًا عَلَى أَنَّ عَلامَةَ العَهْدِ القَدِيمـةِ (أَيِ الخِتان) لا قِيمَةَ بَاقِيَةً لَها وأَنَّ شَعْبَ اللهِ الحَقِيقيَّ هو الخَلِيقةُ الجَديـدةُ فـي المَسـيحِ، التـي هِـيَ الآنَ "إِسـرائيلُ اللهِ"، بِخِـلافِ إِسـرائيلَ الخِتـانِ القَـديمِ، الـذينَ رَفَضـوا المَسـيحَ المَوْعـودَ لِبَرَكَـةِ الجَميـعِ. هـذا وكـانَ الـرَّبُّ يَسـوعُ نَفْسُـهُ قَـدْ أَمَـرَ قـائلاً: "اِذْهَبـوا وَتَلْمِـذوا جَميـعَ الأُمَـمِ وعَمِّدوهُمْ بِاسْمِ الآبِ والابْنِ والرُّوحِ القُدُس" (متـى٢٨:١٩). وقد قـام الرُّسُـلُ ومعهُـمُ الكنيسـةُ الأُولَـى، بِطاعَـةِ وَصِيَّةِ الرَّبِّ، وعَمَّدوا كُلَّ المُؤْمنينَ الجُدُدِ وأَهْلَ بُيوتِهِم مَعَهُم.

لماذا استَبْدَلَ الرَّبُّ فَريضَةَ الِختانِ بِفَرِيضَةِ المَعْمودِيَّة؟

هُناك سببانِ لهذا الاستِبدال. السَّبَبُ الأَوَّلُ يَعُودُ لِكَوْنِ طَقْسِ الخِتانِ تَضَمَّنَ جانِبًا دَمَوِيًّا، رَمزًا للذَّبِيحةِ الإِلهِيَّةِ التي وَعَدَ بِها الرَّبُّ شَعْبَهُ مُنذُ القَديم. أَمَّا وَقَدْ تَحَقَّقَتْ تِلكَ الذَّبِيحَةُ في المَسيحِ وهْو الذي رَمَزتْ لذبِيحَتِهِ تِلكَ الفَرِيضَةُ القَدِيمَةُ، فإِنَّ خِدمَتَها ودَوْرَها الرَّمزِيَّيْنِ اِنتَهَيا، ولَمْ يَبْقَ لِمُمَارسَتِها مُبرِّرٌ حَقيقيٌّ في العَهْدِ الجَديدِ، وبالتَّالِي توَجَّبَ أَنْ تأْخُذَ مكانَها فَريضَةٌ جَدِيدةٌ، تَعْكِسُ بِشَكلٍ مُناسِبٍ المعنَى الصَّحِيحَ لِما حقَّقَهُ الرَّبُّ يسوعُ بِذبيحَتِهِ الكَفَّارِيَّةِ عَلَى الصَّليبِ. والسَّبَبُ الثَّاني هو أَنَّ اليَهودَ الذِينَ رَفَضوا الإِيمانَ بالمَسِيحِ، وَاصَلُوا مُمَارَسةَ الخِتانِ كَعَلامَةٍ للانْتِماءِ للإِيمانِ بالرَّبِّ، وقد أَصَرُّوا عَلَى الاعْتِقادِ بِأَنَّ المَسِيحَ المَوْعودَ لَمْ يأْتِ بَعْد. أَمَّا جَماعَةُ المؤْمِنينَ الجَدِيدَة، التي تَشمَلُ اليَهودَ وكُلَّ أَجْناسِ البَشَرِ، فقد اِنْفَصَلَتْ عَنهُم وتَمتَّعَتْ بالإِيمانِ الخَلاصِيِّ الأَكيدِ، الذي تُمَيِّزُهُ الفَريضَةُ الجَدِيدَةُ، التي تُشِيرُ إِلَى

العَمْلِ الخَلاصِيّ، الذي أَقَرَّهُ وَوَعَدَ بِهِ وَخطَّطَ لَهُ وحَقَّقَهُ وأَنجَزَهُ الثَّالوثُ الأَقدَسُ المُبارَكُ، الآبُ والإبنُ والرُّوحُ القُدُسُ. تمامًا، كما تَحَقَّقَ رَمْزُ مائدَةِ الفِصحِ– التي رَمَزتْ لِجَسَدِ ودَمِ الفادي– في ذَبِيحةِ المسيحِ الكَفَّارِيَّةِ، واسْتُبدِلَتْ بِوَصِيَّةِ المَسيحِ بالذَّاتِ، بِعشاءِ الرَّبِّ الذي يُؤَكِّد عَلَى اكْتِمالِ الذَّبِيحَةِ المَوْعُودَةِ والاحْتِفَالِ بِها، هَكَذا المَعْمُودِيَّة أَمَرَ بِها الرَّبُّ يَسوعُ بِواسِطَةِ رَمْزِ المَاءِ، وهْي تُؤَكِّدُ عَلَى فَوائِدِ عَمَلِ الرَّبِّ يَسوعَ الخَلاصِيّ الكامِلِ، مِنْ لَحْظَةِ تَجَسُّدِه كآدمَ الأَخيرِ المُنْتَصِرِ عَلَى الخَطِيَّةِ والشَّيْطانِ، ثم مَوْتِهِ وانْتِصَارِهِ عَلَى المَوْتِ، بِقِيامَتِهِ وصُعُودِهِ وتَرَبُّعِهِ عَلَى عَرْشِهِ السَّمَاوِيّ، كالمَلِكِ المُتَسَلِّطِ عَلَى كُلِّ ما هُوَ مَنْظورٍ وغَيْرِ مَنْظورٍ، وكَرَئِيسِ كَهَنَتِنا الأَعْظَمِ هُو الشَّفِيعُ الوَحِيدُ المُبَارَكُ لِجَماعَةِ المؤْمِنينَ.

مُلاحَظاتٌ بَدِيهِيَّةٌ:

- المَعْمودِيَّـةُ هِـيَ خِتـانٌ مَسِـيحيٌّ (تكـوين١٢:١٧، كولوسـي ١٠:٢– ١٤).
- الِختانُ لَمْ يعُدْ مُفِيدًا لأَنَّ المَسيحَ أَتمَّ رَمزَهُ (غل ٦:٥).
- الرَّبُّ يسوعُ اِستَبدَلَ الخِتانَ بالمَعْمودِيَّةِ (مت ١٩:٢٨).
- المَعْمودِيَّةُ المَسِيحِيَّةُ تَخْتَلِفُ عَنْ مَعْمودِيَّةِ يُوحَنا التَّحضِيرِيَّةِ للتَّوْبةِ (مر ٤:١ – ٨ ، أع ١:١٩ – ٥).

ما هي عَلاقَةُ المَعْموديَّةِ بالخَلاصِ؟

المَعْمودِيَّةُ ليْستْ هِيَ الخَـلاصَ، ولا هِيَ وَسِيلةُ الحُصولِ عَلَـى الخَـلاصِ، بَلْ هِيَ رَمْزٌ وعَلامَـةٌ وخَتْمٌ وشَـهادَةٌ للخَـلاصِ الإلهِيّ مِنَ الخَطِيـةِ، ومِنَ الدَّيْنونَـةِ الإلَهِيَّـةِ المُستَحَقَّةِ، فَهْيَ تُؤَكِّدُ عَلَـى حاجَةِ البَشَرِ لِعَمَلِ الرَّبّ الذي يُحقِّقُ لَهُم مَغْفِرةَ خَطِيَّتِهِم والتَّطَهُّرَ مِنْهـا، وهـيَ تُؤَكِّـدُ أَيْضًـا أَنَّ الـرَّبَّ فـي رَحْمَتِـهِ ومَحَبَّتِـه ونِعْمَتِـهِ، الغَنِيَّةِ، حَقَّقَ ذَلكَ بِصُورةٍ كامِلَةٍ وَوَافِيَةٍ، بِمَجِيءِ المَسيحِ لِعَالَمِنا،

وبحَياةِ طاعَتِهِ الكَامِلَةِ للمَشيئَةِ الإلَهيَّةِ، وبِعَمَلِهِ الكَفَّاريّ الذي قامَ بِهِ، في تَحَمُّلِه لِلْآلامِ ومَوْتِهِ ودَفْنِهِ وقِيامَتِهِ وصُعُودِهِ، وتَرَبُّعِهِ عَلَى عَرشِهِ السَّماوِيّ، وخِدمَتِهِ الشَّفاعِيَّةِ المُتَواصِلَةِ لأَجْلِ المُؤْمِنين. كما تُؤكّدُ المَعْمودِيَّةُ، أَنَّ الرُّوحَ القُدُسَ يَقُومُ فِعلًا بزَرْعِ وتَأْسِيسِ طَبِيعَةٍ رُوحِيَّةٍ جَديدةٍ في المؤمنينَ، تَجعَلُهُم قادرينَ عَلَى طاعَةِ وَصايا اللهِ وحِفْظِها. لكنَّ مَعْموديَّةَ الماءِ في حَدِّ ذَاتِها لا تُخَلِّصُ أَحَدًا – سواءَ كان الُمعَمَّدُ بالغًا أَمْ طِفلًا. هذا والكثيرونَ مِنَ الذينَ يُعَمَّدونَ، حتَّى بَعْدَ الإقرارِ بِالإيمانِ بالرَّبِّ يَسوعَ وبِخَلاصِهِ، يؤكِّدونَ لاحِقًا عدَمَ تمَتُّعِهِم أَصْلًا بِذلكَ الخَلاصِ الإلهيّ، فيتَخَلَّوْنَ عن ذَلكَ الإيمانِ الُمؤَقَّتِ، الذي بُنِيَ علَى قَناعَةٍ أَوْ إرادَةٍ بَشَرِيَّةٍ فاسِدَةٍ وفاشِلَة، مِثالُ ذلكَ سِيمونُ السَّاحِرُ (أَعمال الرسل ٨:٩ – ٢٤).

هل المَعمودِيَّةُ شَهادَةٌ بَشرِيَّةٌ أَمْ عَطِيَّةٌ إِلَهِيَّةٌ؟

المَعْموديَّةُ في مَفْهومِ الكِتابِ المُقَدَّسِ هي عَطِيَّةُ الرَّبِّ للمُؤْمِنينَ وشَهادَةٌ وتَوْثِيقٌ مِنهُ لَهُم، بِأَنَّه أَمِينٌ في تَحْقِيقِ وُعُودِهِ الخَلاصِيَّةِ، وبِأَنَه أَلغَى كُلَّ الدُّيونِ المُستَحَقَّةِ عَلَيْهِم، وبِأَنَّهُ يهَبُهُم الحياةَ الأَبَدِيَّةَ، ويَحْفَظُ لَهُم مِيراثًا أَبَدِيًّا، أَقَرَّهُ لَهُم الآبُ المُحِبُّ، واشْتَراهُ لأَجْلِهِم الابْنُ الفادي، ويَحفَظُهُ لَهُم الرُّوحُ المُحْيِي. إِذَنْ، المَعْمودِيَّةُ هِيَ عَطِيَّةُ الرَّبِّ لَنا، لتَطْمِينِنا عَلَى ضَمِّهِ هو لَنا في حَظِيرَتِهِ، وهْيَ لَيْسَتْ شَهادَةً مِنَّا نَحْنُ لِلعالَمِ بدُخُولِنا لتِلكَ الحَظِيرَةِ الإِلهِيَّةِ. شَهادةُ المَعمودِيَّةِ، هِيَ لِما عَمِلَهُ ويَعمَلُهُ اللهُ، ولَيْسَ لِما يَقومُ البَشَرُ بعَمَلِهِ، أَو إِعْلانَ مايَعْمَلوه. ومَعْ أَنَّه مِنَ الطبيعيّ للعَالَمِ أَنْ يُلاحِظَ ويَستَنبِطَ العِبَرَ، مِنْ مُمارَسَةِ الكَنيسَةِ المَسيحِيَّةِ للمَعْمودِيَّة، إِلا أَنَّ القَصْدَ الرَّئيسيَّ مِنَ المَعْمودِيَّةِ، هُو بَرَكَةُ شَعْبِ الرَّبِّ، ولَيْسَ لَفْتَ انتباهِ العالَمِ لِذلِكَ الحَدَث.

لِمَنْ تحِقُّ المَعْمودِيَّةُ؟

عَبْرَ كُلِّ الأَجيالِ، ومُنذُ فَجْرِ تارِيخِها وبِدايَتِها العَريقَةِ في يَوْمِ الخَمْسينِ العَظيمِ، اِعْتبَرَتْ الكَنِيسةُ المَسيحِيَّةُ أَنَّ وَصِيَّةَ الرَّبِّ يَسوعَ لَها، كانَتْ تَعْنِي أَنَّه مِنْ حَقِّ كُلِّ المُؤمِنينَ وكُلِّ أَهْلِ بُيوتِهِم، التَّمَتُّعُ بالعَلامَةِ والخَتْمِ والشَّهادَةِ الإلهيَّةِ المُعَيَّنَةِ للعَهدِ الجَديدِ، تأْكِيدًا عَلَى صِدْقِ وأَمَانَةِ وكِفايَةِ خَلاصِ الرَّبِّ يَسوع.

هل تَجوزُ المَعْمودِيَّةُ لأَوْلادِ المُؤمْنِينَ؟

مَعْمودِيَّةُ أَولادِ المُؤمِنينَ لَمْ تكُنْ بِحاجَةٍ للتَّوْصِيَةِ بِها في كَنيسةِ العَهْدِ الجَدِيدِ، بَلْ كانتْ أَمْرًا بَدِيهِيًّا وَوَاجِبًا وحَقًّا، بل نَصِيبًا إِلَهِيًّا واضِحًا، لأَنَّ الوَعْدَ الإِلَهيَّ بالخَلاصِ، لَمْ يَكُنْ مُجَرَّدَ وَعْدٍ نَبَوِيٍّ قُدِّمَ لكلِّ المؤمنينَ في كُلِّ الأَجْيالِ القَريبةِ والبَعيدةِ فَحَسْب (نُبوءَةِ يُوئيل٢٨:٢) ، بَلْ إِنَّ الإِعْلانَ الرَّسوليَّ عن تَحقيقِ ذَلِكَ الوَعْدِ في يَوْمِ الخَمسينِ، قَصَدَ الرُّوحُ القُدُسُ أَنْ يُسَجِّلَهُ شامِلًا المُؤْمِنينَ

وَأَوْلادَهُمْ، فيَقولُ:"لأَنَّ المَوْعِدَ هُوَ لَكُم ولأَوْلادِكُم، ولكُلِّ الذينَ عن بُعْد، كُلِّ مَنْ يَدْعوهُ الرَّبُّ إِلهُنا" (لاحِظْ يوئيلَ ٢٨:٢ وتأْكيدَ أَعمالِ الرُّسُلِ ٣٨:٢ – ٤٠ عَلَى ذَلك). ومِنَ الواضِحِ أَنَّ الخَلاصَ المَوْعودَ هو بِالطَّبعِ أَهَمُّ جِدًّا مِنْ مَعْمودِيَّةِ الماءِ التي رَمَزَتْ لَه. وهل يُعْقَلُ أَنْ يُحْرَمَ أَولادُ المُؤمِنينَ مِنَ العَلامَةِ الخارِجيَّةِ لذَلِك الوَعْدِ الخَلاصِيّ المقدَّمِ لَهُم؟! هذا في الواقع ما دَعَا الرُّسلَ والكَنيسةَ المسيحيَّةَ الأُولَى، أَنْ يُعَمِّدوا كُلَّ أَفرادِ بُيوتِ المُؤْمِنينَ الأَحْداثِ دونَ اسْتِثْناءٍ، فَلِمَ لَمْ يقُلِ الوَحيُّ الإِلَهِيُّ مَثَلاً، أَنَّ المُؤمِنينَ الجُدُدَ "اِعتَمَدوا مَعْ كُلِّ أَهلِ بُيوتِهِمِ البالِغينَ" أَوْ "اِعْتَمَدوا مَعْ كُلِّ أَهْلِ بُيْوتِهِم باسْتِثْناءِ الأَطفالِ؟" (أَعمال الرُّسُل ٤٨:١٠ ، ١٥:١٦ ، ٣٣ ، ٨:١٨ ، كُورِنثوس الأُولَى ١٦:١).

ثم إِنَّ الرُّوحَ القُدُسَ في ذِكْرِهِ للوَاقِعةِ العَظِيمةِ (أَوَّلِ مَعْمودِيَّةٍ مَسيحِيَّةٍ) في يَوْمِ الخَمسينَ، والتي شَمَلَتْ نَحْوَ ثَلاثَةِ آلافِ نَفْسٍ، لَمْ يَقُلْ لا ذكورًا أَو إِناثًا، كِبارًا أَو صِغارًا، بَلْ "أَنْفُس"، ولا يُمكِنُ

لأَيٍّ كانَ، أَنْ يَدَّعِي أَنَّ الكِتابَ المُقدَّسَ (بِعَهْدَيْهِ القَديمِ والجَديدِ) يُعلِّمُ بأَنَّ الأَطفالَ لا يَتَمَتَّعُونَ بِأَنفُسَ خَالِدةٍ قَبْلَ بُلوغِهِم سِنَّ الرُّشدِ. واضِحٌ جِدًّا إِذَنْ، مِن الوَحْيِ المُبارَكِ أَنَّهُ في كُلِّ مَرَّةٍ كانَ لأَحَدِ المُؤمِنِينَ أَو المُؤْمِناتِ الجُدُدِ، أُسَرًا أَوْ أَولادًا، قامَ الرُّسُلُ بِتَعْمِيدِهِم جَميعًا. ثم إِنَّه لَمْ يَرِدْ مُطْلَقًا ذِكْرٌ واحِدٌ في كُلِّ سِجِلاَّت العَهْدِ الجديدِ لِاسْتِثْناءِ أَطْفالِ المُؤمِنينَ، مِنْ ذَلكَ الحَقِّ في المَعْموديَّةِ المَسِيحِيَّةِ، أَو أَنَّ الرُّسُلَ طالَبوا الكَنائسَ بِأَنْ يُعمِّدوا البالِغِينَ فقطْ، مِنْ أَهلِ بُيوتِ المُؤمِنِينَ، أَو أَن يُعَمِّدوا جَمِيعَ أَهْلِ البَيْتِ ماعدا الأَطفال. وكما اِعتُبِرَ أَولادُ المؤمنينَ في العَهْدِ القَدِيمِ أَهْلًا للحُصولِ عَلَى عَلامةِ الدُّخولِ في العَهْدِ الإِلهيِّ القديمِ عَنْ طريقِ خِتانِهِم، هكذا يُقِرُّ العَهدُ الجديدُ، بأَحَقِّيَّةِ أَولادِ المُؤمِنينَ في الحُصولِ عَلَى عَلاَمةِ الدُّخولِ في العَهْدِ الإِلَهيِّ الجَديدِ في المَعْمُودِيَّةِ.

سِجِلاتُ العَهدِ الجَديد:

في كُلِّ العَهْدِ الجَديدِ، سُجِّلتْ تِسعُ وَقَائعِ مَعْمُودِيَّاتٍ مَسِيحِيَّةٍ لا غَيْر، كُلُّها في سِفْرِ أَعْمالِ الرُّسُلِ، وقد أُشِيرَ مَرَّةً لإِحدَاها في كُورِنْثوس الأُولَى ١: ١٤ – ١٧ (كِريسبُس وغايُس وبيتُ اسطفانوس). هذا وأَوَّلُ وأُمُّ المَعْمودِيَّاتِ المَسِيحِيَّةِ كانَتْ فِي يَوْمِ الخَمْسِين، ويَتَحتَّمُ أَنْ يُنْظَرَ إِلَيها كالمِثالِ الأَكْمَلِ والصِّيغَةِ الأَساسِيَّةِ في مَضْمونِها اللاَّهُوتيّ، كما في قرينَتِها التاريخِيَّةِ والجُغرافِيَّةِ وطَبيعَتِها المِحْوَرِيَّة. هذه بِالذَّاتِ لَها سُلْطتُها الرَّسُولِيَّةُ، التي عَلَى ضَوْئِها لَزِمَ أَنْ تَتَقَرَّرَ وتُصاغَ المُمارساتُ الكَنَسِيَّةُ، للعِبادَةِ وخِدمَةِ الكَلِمَةِ والمَعْمُودِيَّة ... أَلخ. فيما يَلِي نَجِدُ تِلكَ الوَقائعَ التِّسع.

أَع ٢:٤١ (ثلاثَةُ آلافِ نَفْسٍ في يَوْمِ الخَمْسِينَ، لا تَحرِمُ أَنفُسَ الأَطفالِ).

أَع ٨:١٠ – ١٣ (سِيمُون وآخَرونَ فِي السَّامِرَةِ، لا ذِكْرَ لعَدَمِ وُجودِ بُيوت).

أَع ٣٨:٨ (الخَصِيُّ الحَبَشيُّ، لم تكُن له زَوْجةٌ ولا أَوْلاد).

أَع ١٨:٩ (شاوُلُ الطَّرسُوسِيُّ، لا ذِكْرَ لِزوجَةٍ أَو أُسْرَة).

أَع ٤٨:١٠ (بيتُ كَرْنِيلِيُوسَ).

أَع ١٥:١٦ (لِيدِيَّا وأَهلُ بَيْتِها).

أَع ٣٣:١٦ (سَجَّانُ فِيلِبِّي والذينَ لهُ أَجمَعون).

أَع ٨:١٨ (كِرِيسْبُسُ مَعْ جَمِيعِ بَيْتِهِ وكَثِيرونَ مِنَ الكُورِنْثِيِّينْ).

أَع ٥:١٩ (التَّلامِيذُ في أَفَسُس).

واضحٌ إِذنْ مِنْ هَذهِ القائمَةِ للتِّسعِ مَعْموديَّاتِ المُسَجَّلَةِ في العَهْدِ الجَديدِ، أَنَّه في أَرْبَعٍ مِنها يُفتَرَضُ وُجودُ أَطفالٍ وأَشخاصٍ غَيْرِ بالِغِينَ، بَيْنَ مَنْ شَمَلَتْهُمُ المَعْموديَّةُ، وفي واقِعَتَيِّ الخِصْيِ الحَبَشِي وشاوُلَ، لم يكُنْ لأَيٍّ مِنهُما أَولاد، وفي واقعتَيِّ السامِرةِ وأَفسُسَ لا تُوجدُ أَيَّةُ إِشارةٍ لوجُودِ أَو عَدَمِ وُجودِ صِغارٍ أَو أُسَرٍ فيها أَطفال. أَمَّا وَاقعةُ يَوْمِ الخَمْسين، فإِنها لَمْ تُشِرْ إِلى مَعْموديَّةِ

أُنــاسٍ بــالِغينَ فَقَــطْ، بَــيْنَ الثَّلاثَــةِ آلافِ نَفْــسٍ الــذينَ تَمَتَّعــوا بالمَعْمودِيَّةِ المَسيحيَّةِ الأُولَى في يَوْمِ الخَمْسين.

صحيحٌ أَنَّ حَدِيثَ العَهْدِ الجَدِيدِ هُوَ عَنْ ضَرُورَةِ الإيمانِ قَبْلَ الحُصولِ علَى عَلامَةِ المَعْمودِيَّةِ، كما هُوَ في التَّعبيرِ "مَنْ آمَنَ واعتَمدَ خَلُص"، وهو قَوْلٌ سَلِيمٌ ولا مَكانَ للجَدَلِ فيه، لَكِنَّهُ يَنْطَبِقُ على المُؤْمِنينَ الجُدُدِ الذينَ يَأْتونَ للإيمانِ مِنْ أَصْلٍ غَيْرِ مَسِيحِيٍّ. وفي يَوْمِ الخَمْسينَ شَمَلَتْ المَعْمودِيَّةُ الجَميعَ مِنْ يَهُودٍ وغَيْرِهِم، بَلْ شَمَلَتْ أَيضًا رُسُلَ وتلاميذَ المَسيحِ الذينَ كانوا قد حَصَلُوا فَقَطْ عَلَى مَعْمودِيَّةِ يُوحَنا للتَّوْبَةِ، في انْتِظارِ المَسِيَّا المَوْعودِ. كما أَنَّ الربَّ يسوعَ غَيَّرَ التَّرتِيبَ اللَّفْظِيَّ في مُناسَبَةٍ أُخْرى، فَقَال لِنِيقُودِيمُوس: "إِنْ كانَ أَحَدٌ لا يُولَدُ مِنَ الماءِ والرُّوحِ، لا يَقْدِرُ أَن يَدْخُلَ مَلَكُوتَ الله" (يوحنا ٣:٥). ومِنَ الطَّبيعِيِّ جِدًّا أَلاَّ يُعمَّدَ أَحَدٌ غَيْرُ مُؤْمِنٍ بالمَسيح، ومِنَ الطَّبِيعِيِّ جِدًّا أَيضًا، أَلا يَتَحَدَّثَ الوَحْيُ الإِلَهِيُّ عَنْ مَعْمودِيَّةِ أَطْفالٍ، إلا في قَرِينَةِ مَعْمودِيَّةِ وَالِدِيهِم.

أمَّا الادِّعَاءُ بِضَرُورَةِ وُجودِ أَمْرٍ إِلَهِيٍّ مُباشَرٍ لِمَعْمودِيَّةِ أَولادِ المُؤْمِنينَ، فَهُوَ قَوْلٌ مَرفُوضٌ، لأَنَّ الوَحيَ الإِلَهيَّ في مُجْمَلِهِ يَفْتَرِضُ تِلكَ الحَقِيقةَ، كَما أَنَّهُ لَمْ يَسمَحْ بمُجَرَّدِ تَلمِيحٍ وَاحِدٍ بِأَيِّ

مَنْعٍ أَو حتَّى اعْتِراضٍ عَلَى مَعْمودِيَّةِ أَطفالِ المُؤمِنينَ.

هل يَجوزُ الاستِيعاضُ عَنْ مَعْمودِيَّةِ أَطفالِ المُؤمنينَ بِما يُدعَى بالتَّكْرِيس؟

لا يُوجَدُ أَساسٌ في كَلِمةِ اللهِ لِعَمِليَّةِ التَّكْرِيسِ تلك، التي يَستَخْدِمُها البَعْضُ كَبَدِيلٍ مُؤقَّتٍ للِمَعْمودِيَّة. أَمَّا ما يُستَخْدَمُ كَأَساسٍ كِتابِيٍّ مِنَ العَهْدِ القَديمِ لتِلكَ العَمَلِيَّةِ، فَقَدْ كانَ يَخْتَصُّ أَصْلاً بالأَبْكارِ الذُّكورِ، الذينَ نُذِروا لِخِدْمَةِ الرَّبِّ (غالبًا في الهَيكَلِ) وكانتْ العَمَلِيَّةُ تَتِمُّ عِندَ بُلُوغِهِم سِنَّ الثانيةَ عَشَرَة. والواقِعُ أَنَّ أُولئكَ كانوَا قَد سَبَقَ وحَصَلُوا علَى عَلامَةِ العَهْدِ

الإِلَهِيّ القَديمِ بِخِتانِهِم في اليَوْمِ الثَّامِنِ مِنْ عُمْرِهِم، تلكَ العَلامَةُ التي استُبْدِلَتْ في العَهْدِ الجَديدِ بِعَلامَةِ المَعْمودِيَّةِ.

كيف تَتِمُّ المَعْمودِيَّةُ المَسيحِيَّةُ؟

سُجِّلَ العَهْدُ الجَدِيدُ أَصْلاً في مُعْظَمِهِ باللُّغَةِ اليُونانِيَّةِ، والكَلِمَةُ اليُونانِيَّةُ المُتَرْجَمَةُ للعَرَبِيَّةِ "مَعْمُودِيَّة" كانَتْ تُستَعْمَلُ مِن قِبَلِ اليُونانِيينَ لِوَصْفِ أَنْواعِ الغَسْلِ أَو التَّنْظِيفِ أَو التَّطْهِيرِ، وقد استُخْدِمَتْ نَفْسُ الكَلِمَةُ في لوقا ١١:٣٨ عِندَ الحَديثِ عَنْ غَسْلِ الأَيدِي قَبْلَ تَنَاوُلِ الطَّعامِ، لذلكَ أُعْطِيَتْ في العَهْدِ الجَدِيدِ كَمَعنًى رَمْزِيٍّ للإِشارَةِ لعَمَلِ الغَسْلِ أَو التَّطْهِيرِ، مِنَ الخَطيَّةِ. والجَديرُ بِالذِّكْرِ أَنَّ المُجْتَمَعَ الشَّرْقِيَّ في قَديمِهِ وحَدِيثِهِ، لا يُمارِسُ أُسْلوبَ غَسْلِ الأَيْدي المُتَّبعِ الآنَ مِنْ قِبَلِ البَعْضِ، والذي فيه تُغْمَسُ الأَيادِي في وِعَاءِ ماءٍ. في أَيَّامِ المَسيحِ كانَتْ عَمَلِيَّةُ الغَسْلِ تَتِمُّ بِسَكْبِ أَوْ صَبِّ المَاءِ علَى الأَيْدِي ولَيْسَ بِغَمْسِها. في متى ١٥:٢ ومرقس ٧:٤ – ٥ الكَلِمَةُ اليُونَانِيَّةُ "بابْتِذْزو" تُستَخْدَمُ لِغَسْلِ

الشَّخْصِ وكذلكَ الأَوْعِيَةِ، وفي الحالتَيْنِ استُعْمِلَتْ وَسيلَةُ الصَّبِّ أَوِ السَّكْبِ، وهذه الكَلِمَةُ اليونانِيَّةُ لَمْ يَكُن اِسْتِخْدامُها حِكْرًا عَلَى مُمَارَسةِ المَعْمُودِيَّةِ، بَلْ شاعَ استِعْمالُها مِنْ قِبَلِ الفلاسِفَةِ والمُفَكِّرينَ اليُونانِيِّينَ القُدامَى والمُعاصِرينَ لِحِقْبَةِ الرُّسُل، وفي كُلِّ اسْتِخْداماتِها، لَمْ تَكُنْ تَعْني أَكثرَ مِنْ تَنْقِيَةٍ أَو تَطْهِيرٍ أَو غَسْلٍ بالماءِ، دونَ ذِكْرٍ حَرْفِيٍّ للتَّغْطِيسِ.

وفي العَهْدِ القَديمِ إِشاراتٌ كثيرةٌ للغَسْلِ الرُّوحِيِّ الرَّمزِيِّ لِكُلِّ الجِسْمِ، بِمُجَرَّدِ رَشِّ أَو سَكْبِ المِياه، وفي التَّرْجَمَةِ اليونانِيَّةِ السَّبْعِينِيَّةِ لِلْعَهْدِ القَدِيمِ، استُخْدِمَتْ لِذَلك الكَلِمةُ اليُونانيَّةُ المُخْتَصَّةُ بالمَعْمُودِيَّةِ، وكانَ بَيْنَ تِلكَ الممارساتِ نَوْعٌ مِنَ المَعْمودِيَّةِ المُخَصَّصَةُ لِلْكَهَنَةِ، يُشابِهُ مَعْمودِيَّةَ يُوحَنَّا (لاويين ١٤ و ١٥ وعدد ٨:٥ – ٧)، كما أَنَّ النَبِيَّ حَزْقِيالَ، إِذْ تَحَدَّثَ عَنْ خَلاصِ المَسِيَّا المَوْعُودِ قالَ: "وأَرُشُّ عَلَيْكُم مَاءً طاهِرًا، فَتُطَهَّرُونَ مِنْ كُلِّ نَجاسَاتِكُم" (حَزْقيال ٣٦:٢٥). كُلُّ ذَلِكَ يُؤَكِّدُ الأَساسَ

الكِتَابِيَّ لاسْتِخْدامِ الرَّشِّ أَو السَّكْبِ أَو الصَّبِّ في المَعْمودِيَّة. في إِشَعياءَ ١٥:٥٢ كَلِمَةُ "يَنْضَح" التي تُشِير إِلى بَرَكَةِ المَسِيَّا المَوْعودِ لأُمَمٍ كَثيرَةٍ، هي في الأَصْلِ العِبْرِيِّ بِمَعنَى "يَرُشُّ".

ماذا عَنْ قَوْلِ الرَّسولِ بُولُسَ: "فدُفِنَّا مَعَهُ بالمَعْمودِيَّةِ للمَوْتِ"؟ هلْ يَعْنِي ذَلكَ بالضَّرورةِ التَّغطِيسَ حَرْفِيًّا في الماءِ؟ طَبَعًا لا؛ ذَلِكَ يَرْجِعُ لسببَيْن: السَّبَبُ الأَوَّلُ هو أَنَّ عَمَلِيَّةَ دَفْنِ المَوْتَى في تِلكَ الأَيامِ (بِما فيها دَفْنُ يَسوعَ ولِعَازَرَ) لمْ تَتِمَّ عَلَى الأُسْلوبِ الدَّارِجِ الآنَ، والذي يَقْضِي بالطَّمْرِ تَحْتَ سَطْحِ الأَرْضِ، بَلْ كانَ يَتِمُّ في قُبورٍ بُنِيَتْ فَوْقَ سَطْحِ الأَرْضِ، ومعْ أَنَّ جَسَدَيْ المَسيحِ ولِعازَرَ وُضِعا في قَبْرَيْنِ فَوْقَ سَطْحِ الأَرْضِ ولمْ يُغَطَّيا بالتُّرابِ، إِلا أَنَّ الإِنْجيلَ، لمْ يَتَردَّدْ في وَصْفِ ذَلكَ بالدَّفْنِ الحَقِيقِيِّ والكامِلِ. أَمَّا السَّبَبُ الثاني لِرَفْضِ الإِصْرارِ عَلَى التَّغْطِيسِ في المَعْمودِيَّةِ، هُوَ حَديثُ الرَّسولِ بولُسَ إِلى أَهْلِ كُورِنْثوسَ، في رِسالَتِهِ الأُولَى لَهُم ١٠:١ و ٢، إِذْ يَقُول:"إِنَّ آباءَنا جَمِيعَهُمُ كانوا

تَحْتَ السَّحابَةِ، وجَمِيعَهُمُ اجْتَازُوا في البَحْرِ، وجَميعَهُمُ اعْتَمَدوا لِموسَى في السَّحابَةِ وَفِي البَحْرِ". والكُلُّ يَتَّفِقُ عَلَى أَنَّ السَّحابَةَ غَطَّتْ رُؤُوسَ العِبْرانِيّينَ في البَرِّيَّةِ، وهُمْ اجْتازُوا عَلَى أَرْضٍ يابِسَةٍ عَبْرَ البَحْرِ، فَكَيْفَ إِذَنْ يُمْكِنُ أَنْ يَعْنِيَ ذَلك تَغْطِيسًا حَرْفِيًّا كامِلاً فِي المَاءِ؟! بالإضافةِ إِلى ذَلك، هُناكَ حَديثُ الرَّسُولِ بُطرُسَ في رِسالَتِهِ الأُولَى ٣:٢٠ و ٢١، حيث رَبَطَ بَيْنَ خَلاصِ عَائلَةِ نُوحٍ في الفُلكِ، والخَلاصِ المَرْمُوزِ إِليهِ في العَهْدِ الجَديدِ بالمَعْمُودِيَّةِ، وكُلُّنا نَعْلَمُ عِلمَ اليَقِينِ أَنَّ الأَمطارَ انسَكَبَتْ وانصَبَّتْ عَلَى الفُلْكِ، وَبقِيَ الفُلكُ طَافِيًّا عَلَى وَجْهِ المِياهِ، ولمْ يَحدُثْ غَمْرٌ أَو تَغْطِيَةٌ أَو تَغْطِيسٌ كامِلٌ للفُلْكِ في مِياهِ الطُّوفانِ.

أَمَّا مَعْمُودِيَّةُ الرُّوحِ القُدُسِ التي تَرمُزُ لَها مَعمُودِيَّةُ المَاءِ، فَقَدْ وُصِفَتْ مِرارًا وتَكْرارًا، في العَهْدَيْن القَدِيمِ والجَديدِ، عَلَى أَنَّها

عَمَلِيَّــةُ انْسِــكابٍ أَو حُلــولٍ، ولَيْسَــتْ غَمْــرًا أَو تَغْطِيسًــا. (أَع ١٠:٤٤).

كُلُّ ذَلِكَ يُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّ كَلِمَةَ اللهِ، غَيرُ قابلَةٍ للتَفْسِيرِ الفَرّيسِيّ أَو النَّامُوسِـيّ الحَرْفِـيّ لأُسْـلوبِ المُعْمُودِيَّـةِ، ولا يُوجَـدُ مـا يَسـتَدْعِي اتِّباعَ تَفْسِيرٍ اجْتِهادِيّ مُستَحدَثٍ، لِفَهْمِ مَضْمُونِ الوَحْيِ الإِلَهِيّ، الذي سُجِّل في قَرِينَتِنا الشَّرْقِيَّةِ.

يَسْعَى البَعْضُ لاِستِخْدامِ تَعْبِيرَيّ "نَزَلا إِلى الماءِ" و "صَعِدَا مِنَ الماءِ"، الوارِدَةِ في أَع ٨:٣٦ – ٣٩، لِتَرْجِيحِ مُمَارَسَةِ التَّغْطِيسِ في مَعْمُودِيَّةِ الخَصِيّ الحَبَشِيّ، لكنَّ هذَيْنِ التَّعبِيرَيْنِ لا يَدُلاَّنِ إِطْلاقًا عَلَى حُدوثِ تَغْطِيسٍ في الماءِ؛ لأَنَّ التَّشدِيدَ في النَّصِّ عَلَى مُلاحَظَةِ وُجُودِ مَصْدَرٍ لِلمِياهِ في البَرِّيَّةِ، وإِلا لَزِمَ أَيضًا، أَنْ يَكونَ في النَّصِّ أَكْثَرَ مِنْ مُجَرَّدِ نُزولٍ وصُعُودٍ، فالتَّغْطِيسُ يَنْتُجُ عَنْهُ ابْتِلالٌ كامِلٌ للجِسْمِ وخَلْعِ وتَغْيِيرِ مَلابِسَ، لَكِنَّ النَّصَّ في بَساطَتِهِ، لَمْ يُلَمِّحْ لأَيٍّ مِنْ تِلكَ الأَعْمالِ التي تَسْتَبِقُ وتَتْبَعُ أَيَّةَ

عَمَلِيَّةِ تَغْطِيسٍ حَرْفِيَّةٍ.

مُلاحظة. التَّغْطِيسُ لَمْ يَظْهَرْ بَتاتًا في بَساطَةِ الكَنِيسَةِ الأُولَى، التي كَثيرًا ما اجْتَمَعَتْ في البُيوتِ وفي أَماكنَ أُخْرَى، لَمْ تَكُنْ فِيها بِرَكٌ أو أَحْواضُ مَعْمُودِيَّةٍ، وَلمْ تكُنْ قَرِيبَةً مِنْ تُرَعٍ أَو أَنْهارٍ، وحَتَّى في حَالَةِ مُمَارَسَةِ يُوحنَّا لِلمَعْمودِيَّةِ التَّحْضِيرِيَّةِ للتَّوبَةِ، التي أَصَرَّ المَسيحُ عَلَى الخُضوعِ لَها، فَإِنَّ قَوْلَ الإِنْجيلِ في مَرْقُس ١:١٠ أَنَّ يسوعَ "وهْو صاعدٌ مِنَ الماءِ"، لَمْ يكُنْ يَعْني أَنَّ الصَّعودَ سَبَقَهُ تَغْطِيسٌ في الماءِ. وهُنا يَجِبُ أَنْ نَتَذَكَّرَ أَنَّ وُجودَ يوحَنَّا، وَهْوَ عَلَى ضِفافِ نَهْرِ الأُرْدُن، لَمْ يَكُنْ واقفًا في الماءِ، لَكِنَّهُ اِخْتارَ بِذَكاءٍ مُذْهِلٍ، مَوْقِعًا إِسْتِراتِيجِيًّا في تَقَاطُعِ طُرُقٍ في مِنْطَقَةٍ صَحْراوِيَّةٍ، احْتاجَ فيها المُسافِرونَ لِاِسْتِراحاتٍ تَحْتَ ظِلالِ الأَشْجارِ عِندَ شَواطِئِ النَّهرِ، بَعْدَ أَسْفارٍ في طُرُقٍ صَحْراوِيَّةٍ جَرْداءَ، ذَلكَ أَعْطاهُ فُرَصًا ذَهَبِيَّةً لِلمُنادَاةِ بِرِسَالَتِهِ لِلْمَارَّةِ الكُثُرِ، الذينَ جَذَبَهُمْ لَهُ مَنْظَرُهُ غَيْرُ المُعتادِ، وَصَوْتُهُ الصَّاعِدُ مِنْ

شَاطِئِ النَّهْرِ (مرقس ١:٥)، يَدْعُوهُمْ لِلتَّوبَةِ، ويَرُشُّ عَلَيْهِمْ المَاءَ. فلا يُعْقَلُ أَبَدَا اِفْتِراضُ أَنَّهُ مَكَثَ فِي مِيَاهِ النَّهرِ (كما افْتَرَضَ خَطأً بَعْضُ رَسَّامِي الصُّوَرِ الدِّينِيَّةِ)، ونَزَلَ إِلَيْهِ آلافُ المَارَّةِ لِيَقُومَ بِتَغْطِيسِهِمْ واحدًا تِلْوَ الآخَرِ.

أَمَّا مِثَالُ أُمِّ المَعْمودِيَّاتِ المَسِيحِيَّةِ في يَوْمِ الخَمسينَ، فوُضوحُهُ لا يَحْتَمِلُ أَيَّ تَأْوِيلٍ، لأَنَّ الآلافَ الثَّلاثَةَ الَّذينَ اعْتَمَدوا في ذَلكَ اليَوْمِ، ضِمْنَ قَرِينَةِ الهَيْكَلِ الجُغْرافِيّةِ، لا يُعْقَلُ حُدوثُ تَغْطِيسٍ لهُمْ، يَسْتَغْرِقُ ساعاتٍ ويَسْتلْزِمُ وجودَ آلافِ المَناشِفِ وغِياراتِ الثِّيابِ، حَتَّى إذا تَوَفَّرَتْ مِياهٌ كَثِيَرةٌ هناك، وهْو بِدَوْرِه أَمرٌ غَيْرُ وَاقِعِي. وقَوْلُ بَعْضِ مَنْ يُصِرُّونَ عَلَى التَّغطِيسِ في المَعْمُودِيَّةِ، أَنَّ تِلكَ كانَتْ حَالةً إِستِثْنائِيَّةً، ولَمْ تُشَكِّلْ قَاعِدَةً في مُمَارَسَةِ المَعْمُودِيَّةِ، هو قَوْلٌ غَيْرُ مَنْطِقِيٍّ؛ لأَنَّ وَاقِعَةَ يَوْمِ الخَمْسِينَ، هِيَ بالفِعْلِ واقِعَةٌ مِثالِيَّةٌ في كُلِّ تَفاصِيلِها، فَقَدْ مَثَّلَتْ النَّموذَجَ الرَّسولِيَّ

لكُلِّ المُمَارساتِ. والرُّسُلُ أَنْفُسُهُمْ أَيضًا، كانَتْ لَهُمْ فُرْصَةُ التَّمَتُّعِ بالمَعْمُودِيَّةِ المَسِيحِيَّةِ للمَرَّةِ الأُولَى.

هل يَجوزُ تَكْرارُ أَوْ إِلغَاءُ أَيِّ مَعْمُودِيَّةٍ مَسِيحِيَّةٍ؟

حَذَّرَ الرَّسُولُ بُولُسُ مِنَ الانْحِرافِ عَنْ السُّلوكِ المُستَقِيمِ في الدَّعْوَةِ الإِلَهِيَّة، وحَثَّ عَلَى الاتِّضاعِ والوَدَاعَةِ وطُولِ الأَناةِ بَيْنَ المُؤْمِنينَ، وفي قَرينَةِ حَدِيثِهِ عَنْ ذَلكَ في رِسالةِ أَفَسُس (٤:١–٦) دعا المُؤمِنِينَ للحِفاظِ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ الرُّوحِ، مُؤَكِّدًا عَلَى أَنَّ وَحْدَةَ المُؤْمِنِينَ، تَرْتَبِطُ ارتباطًا جَوْهَرِيًّا بالرَّبِّ الواحِدِ، والإِيمانِ الواحِدِ والمَعْمودِيَّةِ الوَاحِدَةِ، وهكذا فإِنَّ تَكْرارَ المَعْمُودِيَّةِ مَرْفوضٌ مِنْ أَساسِهِ، لأَنَّ وَحْدَانِيَّةَ المَعْمُودِيَّةِ هِيَ مِنْ وَحْدَانِيَّةِ الرَّبِّ في الثَّالوثِ الأَقْدَسِ، ومِنْ وَحْدَانِيَّةِ الإِيمانِ المَسِيحِيِّ في كَلِمَةِ الرَّبِّ. وبِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ طَرِيقَةِ أَوْ أُسْلوبِ مُمَارسَةِ المَعْمُودِيَّةِ أَو كَمِّيَّةِ المَاءِ المُسْتَخْدَمَةِ فِيها (سَواءٌ بالرَّشِّ أَو السَّكْبِ أَوِ الصَّبِّ أَوِ

التَّغْطِيسِ)، وبِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ عُمْرِ المُعَمَّدِ (قاصِرًا كانَ أَمْ بالغًا)، وبِغَضِّ النَّظَرِ عن هُوِيَّةِ مَنْ يُشرِفُ عَلَى طَقْسِ المَعْمودِيَّةِ أَو يُمارِسُها، ومهما يَكُنْ مَقامُهُ أَو مَكانَتُهُ أَو لأَيِّ طَائِفَةٍ انتماؤُه، هي مَعْمُودِيَّةٌ واحِدَةٌ بِاسْمِ الآبِ والابْنِ والرُّوحِ القُدُسِ، جَعَلَها الرَّبُّ مِنْ نَصِيبِ المُؤمِنينَ وجَمِيعِ أَهْلِ بُيُوتِهِمْ؛ لذلكَ لا يَجُوزُ التَّشْكِيكُ بِها ولا تَكْرارُها، وكُلُّ عَمَلِيَّةِ تَكْرارٍ لِلمَعْمُودِيَّةِ المَسِيحِيَّةِ، هي لاغِيَةٌ وباطِلَةٌ سَلَفًا، بحُكْمِ المَعْمُودِيَّةِ الأُولَى الأَصْلِيَّةِ، وهكذا تُعْتَبَرُ عَمَلِيَّةُ التَّكْرارِ بِلا مَنْفَعَةٍ رُوحِيَّةٍ. القِيمَةُ والبَرَكَةُ الرُّوحِيَّةُ في المَعْمودِيَّةِ المَسِيحِيَّةِ، تَكْمُنانِ في اسْمِ الثَّالوثِ الأَقْدَسِ المُبَارَكِ الذي به تَتِمُّ، ولَيْسَ في المَاءِ مَهْما تَكُنْ كَمِّيَّتُهُ، ولا في تَوْقِيتِها أَوْ هُوِيَّةِ مَنْ يُشْرِفُ عَلَى تَنْفِيذِها. المَعْمُودِيَّةُ المَسِيحِيَّةُ هِيَ إِحْدَى فَرِيضَتَيْنِ أَوْصَى الرَّبُّ يَسوعُ بمُمارَسَتِهِما، الثَّانِيَةُ هِيَ فَريضَةُ العَشاءِ الرَّبَّانِيِّ. وهناكَ بَرَكَةٌ رُوحِيَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ للمؤْمِنِينَ في مُمَارَسَتِهِما، فَهُما في أَساسِهِما

تتَحَدَّثانِ عَنْ نِعْمَةِ الخَلاصِ الإِلَهِيَّةِ التي أَقَرَّها الرَّبُّ بِدَمِ العَهْدِ الأَبَدِيّ، الَّذي انْسَكَبَ في كَفَّارَةِ المَسيحِ عَنْ خَطايا شَعْبِهِ المُؤمِنِ. البَرَكَةُ، كُلُّ البَرَكَةِ هِيَ في رِسالةُ الإِنجيلِ الخَلاصِيَّةِ الَّتي يَنْطِقُ بِها وَيُعْلِنُها خُدَّامُ كَلِمَةِ اللهِ عِندَ قِيادَةِ المؤْمِنِينَ في طَاعَةِ الرَّبِّ يَسوعَ، بِمُمارَسَةِ هاتَيْنِ الفَرِيضَتَيْنِ.

المجدُ للآبِ والابنِ والروحِ القُدُس